قصة قصيرة

فارس والنصيحة

للكاتب

أحمد السكري

في قرية صغيرة بشمال البلاد كان هناك شاب يدعى فارس المقدام
فارس شاب عمره أربع وعشرون عاماً طويل القامة عريض المنكبين ذو عضلات مفتولة وشعر أسود طويل ولحية طويلة
كان فارس يعيش مع زوجته فاطمة بهذه القرية الصغيرة يعمل بائع دجاج وطيور وماشابه ذلك
وفي يوم من الأيام كان فارس يحمل سكيناً كبيرة ويستعد لقطع رأس دجاجة لوجبة العشاء
لكن ما أن لامست السكين رقبة الدجاجة وقطعت نصفها ، رفرفت الدجاجة بجناحيها بسرعة كبيرة وهربت من فارس وهي شبه مقطوعة الرأس
فلحقها وهو يحمل السكين الملطخة بالدماء
دخلت الدجاجة أسطبل جاره فدخل خلفها وأغلق الباب ، لكنه عندما أغلق الباب والتفت لم يجد الدجاجة إنما وجد جاره عباس صاحب الأسطبل مستلقي على الأرض يتخبط بدمائه
فقام ليفتح الباب ويأتي بالمساعدة فوجد رجال الشرطة على الباب بانتظاره والقوا القبض عليه فوراً
- أيها الرجال يجب أسعاف الرجل فوراً
- أسعاف الرجل بعد أن قتلته أيها المجرم القذر
- أقسم أنني لم أقتله أنا فقط كنت ألحق بدجاجتي..
-لا تقسم إن السكين مازالت بيدك وهي ومطخة بدماء هذا المسكين
أخذوا فارس للسجن بتهمة قتل جاره عباس ووضعوه بزنزانة إنفرادية حتى يأتي موعد إعدامه

كان فارس ينظر للقمر من بين قضبان نافذة السجن ويقول :
- ياليتني أستطيع الخروج والهرب بعيداً ، لكن....لكن ربما أستطيع فعلاً
وقف فارس وأمسك قضبان النافذة بيديه الكبيرتين وشده بقوة للداخل ثم ضربه بسرعة للخارج فسقطت القضبان بأكملها لخارج الزنزانة ، وهرب فارس وتوجه لداره مسرعاً ولما وصل أخبر زوجته بما حصل وقال :
- عزيزتي سأغادر هذه القرية الآن ولا أستطيع أخذك معي لأنني لا أعلم أين أذهب لكن تأكدي أنني سأعود وآخذك ونخرج من هذه القرية الظالمة
- وفقك الله يافارس وحماك ، أستودعك عند الله
خرج فارس من داره ودموعه تنهمر على وجنتيه ولا يعلم أين يذهب لكن عليه أن يذهب وبسرعة
قطع فارس مسافات طوال وهو يبحث عن مكان يأويه وهو أيضاً بأمس الحاجة للطعام والشراب فهو على وشك أن يقع أرضاً من شدة التعب
بهذه الأثناء مر رجل يمتطي ناقة على بعد مسافة لابأس بها ، فصرخ فارس بكل مابقي لديه من طاقة
- أيها الرجل هنااااك تعال وساعدني أرجوك
سمع الرجل نداء فارس فذهب إليه بسرعة وعندما وصل ترجل عن ناقته وأخرج من جعبتها ماء وأعطاه لفارس فشرب حتى أرتوى ، وهنا بدأوا بالحديث :
- من أي العرب أنت أيها الرجل ؟ ومالذي يجعلك تسافر بهذه الطريقة ، سيراً على الأقدام
- أنا فارس من عرب المسارع وقصة سفري هذا طويلة جداً وغريبة أيضاً

- إذاً لنذهب لداري الآن وعندما تأكل وتشرب وترتاح نتحدث بروية
- بارك الله بك يا أخ العرب
ركب فارس مع هذا الإعرابي وذهب معه لداره
بعد أن تناول فارس الطعام والشراب وارتاح قليلاً جلس الإعرابي بجانبه وقال :
- حسناً يافارس أروي لي قصتك الغريبة
- كنت جالس أمام داري وأمسك بدجاجة لأذبحها فهربت مني بعد أن قطعت نصف عنقها فهربت ودخلت اسطبل جاري ولما دخلت خلفها رأيت جاري مقتول ويتخبط بدمائه وجائت الشرطة بسرعة البرق على غير عادتها والقت القبض علي بتهمة القتل ظناً منهم أن السكين الملطخة بالدماء التي بيدي هي سلاح الجريمة ، وبعدما أخذوني للسجن الإنفرادي تمكنت من الهروب وبدأت أركض وأمشي حتى وجدتني أنت بتلك الحالة
- قد صدق من سماكم بعرب المسارع ، فاغلبكم يحكمون على الناس بسرعة دون وعي ودون تفكير أنت هنا بداري بإذن الله آمن
- بارك الله بك يااا.....
- أخاك عبد الله
- بارك الله بك ياعبد الله
أتستطيع أن تأمن لي عمل ومكان أبات به بعد عملي ؟
- قد التمست الصدق بكلامك يافارس ولهذا ستعمل عندي ك سايس خيل وسأعطيك غرفة خاصة بك تنام بها وابقى قدر ماتشاء وطعامك وشرابك عليي أنا ، فما رأيك ؟

- موافق موافق بلا أدنى شك موافق
- لكن يافراس هناك شرطان للعمل معي ألا تريد أن تعرفهم يافارس ؟
- موافق مهما كانت ، لكن ماهي شروطك ؟
- الشرط الأول : لا تنظر في المرآة
الثاني : لا تنام على ظهرك في الفلاء
- هذه شروط بسيطة وسهلة ، موافق بكل تأكيد

بقي فارس يعمل عند هذا الرجل ستة عشر عاماً وفي كل عام تأتي الشرطة وتبحث عنه في كامل المملكة وفي العام السابع عشر لم تأتي الشرطة وكأن الأمر قد قضي أخيراً
بدأت الأفكار تأخذ فارس وتجلبه حتى استلقى في تلك الليلة بالفلاء على ظهره ونظر للنجوم وبدأ يراجع ذاكرته وكم عام قد أبتعد عن زوجته التي يحبها وتعشقه وبدأت دموعه تنهمر على وجنتيه بصمت حتى غفى على هذا الحال
في صباح اليوم التالي استيقظ فارس وتناول الفطور مع عبد الله وبعد الفطور قال له فارس :
- إسمع ياعبد الله أقسم أنني لم أشعر إلا وأنني بين أهلي هنا في دارك لكن ... يجب أن أعود لزوجتي فربما الأمر قد قضي
- هل نمت البارحة على ظهرك يا فارس ؟
- أجل... لكن كيف عرفت ؟
- قرار عودتك هذا لم يأتي إلا لأنك قد استلقيت على ظهرك بالفلاء وتأملت النجوم ومر شريط ذكرياتك مع زوجتك أمام عينيك

- وهل كان هذا الشرط لتحرمني من العودة لزوجتي ياعبد الله ؟
- بل كان لحمايتك من الشرطة يا فارس
والآن وقد حسم الآمر ، سأعطيك تعويضاً عن هذه السنين التي عملت معي بها
ساعطيك ثلاث جمال وحصان
- بارك الله بك يا عبد الله
- لكن طريق عودتك صعب وطويل فما رأيك أن أنصحك نصيحة وتعطيني مقابلها جمل ؟
- بما أنني أثق بك أنا موافق ، ماهي النصيحة ؟
- النصيحة تقول : إياك والنوم في الوديان حتى ولو كنت بين العرب والعربان
- سأقدر هذه النصيحة ياعبد الله وأحفظها ، أعطني الجملين والحصان
- إنتظر قليلاً ، مارأيك أن أنصحك نصيحة أُخرى وآخذ مقابلها جمل آخر ؟
- أيضا موافق ، ماهي النصيحة ؟
- إحذر ثم إحذر ثم إحذر من أصحاب الأيادي المتجرحة والأفواه المتبجحة والعيون المتفقدة
- هذه نصيحة كبيرة جداً ومهمة أيضاً ، شكراً لك ياعبد الله ، هل أعطيتني الحصان والجمل ؟
- مارأيك أن أنصحك نصيحة أخيرة وآخذ الجمل المتبقي لديك ؟
- بارك الله في نصاحئك يا عبد الله ، موافق أعطني هذه النصيحة الأخيرة
- أياك والتسرع ، فقبل أي قرار مصيري تريد أن تتخذه أستغفر عشر مرات وحوقل عشر مرات

- حسناً ياعبد الله نصاحئك هذه ستبقى خالدة في رأسي ماحييت ، أتسمح لي بالذهاب الآن ؟
- أجل ، إذهب واختر أي حصان يعجبك وهاته ريثما أجهز لك عدة السفر

خرج فارس من دار عبد الله بعد أن أخذ كل مايلزمه لهذا السفر الطويل وذهب
حل الليل على فارس ولم يصل بعد ، لكنه وجد خيم كثيرة في وادي ، فذهب إليهم واستأذن أن ينام هذه الليلة بينهم
وقبل أن ينام بقليل تذكر النصيحة الأولى :
إياك والنوم في الوديان حتى ولو كنت بين العرب والعربان
ركب حصانه وجمع أشيائه وصعد لأعلى التلة ونام هناك ، وفي الصباح استيقظ ليجد نفسه على شاطئ بحيرة كبيرة جداً لكنها في الحقيقة ليست بحيرة !!!
فقد مر به رجل يبكي فسأله عن مايبكيه فقال :
- إن أهلي وأقاربي كانوا يقيمون هنا في هذا الوادي مكان هذه البحيرة قبل يأتي الطوفان ويسحقهم جميعاً
وأكمل بكائه بحزن شديد ، أما فارس قد أحس بفرح شديد كونه نفذ نصيحة عبد الله وحافظ على حياته أكمل طريقه وهو يحمد الله ويشكره على نعمه وفي الطريق عند حلول المساء التقى برجل يركب على حماره بالقرب من بحيرة صغيرة ، وبدأ ذاك الرجل بالحديث :

- السلام عليك يا أخ العرب
- وعليكم السلام ورحمة الله بركاته
- أنا أخاك شمروخ من عرب المشاطيب ، وأنت ؟
- أنا فارس المقدام من عرب المسارع
- إسمع يافراس سيحل الظلام الدامس بعد قليل مارأيك أن نخيم معاً ونتناوب على حراسة بعضنا في الليل من الذئاب والوحوش ؟
- موافق ياشمروخ بارك الله بك

وفي الليل وقبل النوم كان فارس يجلس على شاطئ البحيرة ويراقب شمروخ بعد أن أحس بشيئ من الغرابة ، فشمروخ يتفقد حصانه كثيراً وكأنه يأكله بعينيه ، فتذكر فارس نصيحة عبد الله الثانية وأحس أن هذا الرجل هو المقصود ، فقال له :

- شمروخ إن الليل بأوله تعال واغسل نفسك من العرق واجلس بجانبي لنتحدث
- معك حق سأغتسل وأحدثك عن بطولاتي في الحرب

خلع شمروخ ملابسه الخارجية ونزل على البحيرة فلاحظ فارس أن يديه متجرحة بشكل لايتناسب مع كونها جروح ناجمة عن قتال أو ماشابه

وذاك الشمروخ قال سيحدثه عن بطولاته في الحرب فهذا هو الرجل المقصود في النصيحة ، فقال فارس :

- شمروخ إن النوم يصارعني الآن ، سأذهب لأخلد للنوم وأنت أنتهي من حمامك وأبدأ بالحراسة
- سوف أتأخر قليلاً ، لكن لا عليك أطمئن أنا بقربك

ذهب فارس بسرعة ووضع على الأرض بعض من أمتعته وصفها لتكون وكأنها رجل وغطاها ووضع نعله بجانبها واستل سيفه واختبئ

بعد حوالي الساعة من المراقبة عاد شمروخ وبدأ
يتفقد المكان وهو يمشي على رؤوس أصابعه ك
اللصوص حتى وصل إلى الكمين الذي وضعه فارس
فأخرج خنجره بسرعة وضربه على الغطاء بقصد قتل
فارس ، لكنه أحس أنه لم يطعن بشري ، فرفع الغطاء
وقبل أن يتفاجئ جائه فارس المقدام ، دق عنه وقتله

بعد تلك الليلة الغريبة أكمل فارس طريقه لداره وهو
يقول في نفسه : لم تذهب تلك الجمال هباءً
وعندما وصل لقريته بدأت دموعه تنزرف من الشوق
لهذا المكان وداره تحديداً ولزوجته أخيراً
وصل فارس لداره فترجل عن جواده ودق على الباب
ثلاث دقات ، لكن المفاجئة كانت كالصاعقة فقد سمع
صوت شاب يقول من الطارق ؟ ، ثم فتح الباب ونظر
لفارس وقال : من أنت أيها الرجل وماذا تريد ؟
بهذه اللحظات اشتعل فارس من الغضب وكاد أن يقتل
هذا الشاب ذو اللحية فتذكر النصيحة الأخيرة وقال
في نفسه : عسى أن تكون فاطمة قد باعت هذا الدار
وانتقلت من هذه القرية
وبدأ يستغفر ربه وينظر للشاب بغضب دون أن
يتحدث معه ، كان يستغفر فقط حتى سمع صوت
زوجته من الداخل وهي تقول:من على الباب يا أحمد؟
وتقدمت ووقفت خلف ذاك الشاب ونظرت لفارس
بهذه الأثناء وضع فارس يده على قبضة سيفه وتأهب
لقتلهما معاً ، لكن.....
نصيحة عدم التسرع تلك قد أوقفت عضلاته مؤقتاً
فأغمض عينيه وبدأ بالأستغفار وهو يقول فى نفسه :

سأقطع رأسيكما بعد الحوقلة العاشرة
كانت فاطمة ذكية أيضاً وفطنة فرغم شوقها الكبير لزوجها إلا أنها علمت مايدور برأسه وتصرفت فوراً وقالت بسرعة :
- هذا أبنك أحمد يافارس أبنك الذي ولدته بعد رحيلك بثمانية أشهر
أتذكر عندما كنت أتقيأ دون سبب ؟
كانت تلك بدايات حملي بأحمد لكننا لم نعرف حينها
هذا أبنك الذي أثبت للعالم برائتك بعد أن حصلت سلسلة سرقات وجرائم
قد أمسك اللصوص بيده وسلمهم للشرطة واعترفوا بقتل عباس وسرقته
هذا ابنك الذي ينتظرك كل ليلة لتعود بلا كلل أو ملل
هذا هو أبنك أحمد يا فارس
وهذه هي زوجتك فاطمة تقف مقابلك بشوق لم يقل مثقال ذرة يافارس
انزرفت دموع فارس وخر على ركبتيه جاثياً من البكاء
فرفعه أبنه أحمد واحتضنه وقبله بشوق ثم احتضن زوجته واعتذر منها وبكى بكاءً شديداً
بعد هذا اللقاء المميز ، دخلوا للدار وبدأوا يحدثوا فارس عن ماحدث بهذه السنوات الطوال ثم أخبرهم هو ماحصل معه وعن النصائح الثلاث الذي قدمها له عبد الله مقابل الثلاث جمال
وكيف أنقذته هذه النصائح بسفره من الطوفان وحتى هذه اللحظة الذي رآى أبنه فيها

صحيح أن عبد الله آخذ ثلاث جمال مقابل ثلاث نصائح لكنها أنقذت فارس وعائلته من الموت

هذه هي قصة فارس والنصيحة عندما كانت النصيحة بجمل وعندما كانت حقاً تقدر بجمل وليس مجرد كلام

.....النهاية.....